

الموضوع: ثق يا بني مغفورة لك خطاياك

برنامج أنوار كاشفة

هل من الممكن أن يحصل الإنسان على غفران خطاياها؟ طرح الكثيرون هذا السؤال الهام على مر السنين والعصور. وكانت هناك إجابات متنوعة، طبقا لما يعتقدوه أو يظنه المجيب عن السؤال.

ولعل من أهم الإجابات التي نسمعها، أنه لا وجود لغفران الخطية، إذ من المستحيل أن يحصل المرء على غفران خطاياها. ويتساءلون على أي أساس سيغفر الله الخطايا؟ وتقول إجابة أخرى: إن هذا في علم الله، ففي يوم الدين نقف جميعنا أمام الله الديان لكي يحاسبنا على أعمالنا. فإن كانت أعمالنا الصالحة كثيرة، لغفر الله خطايانا وأدخلنا جنة الخلود. وفي كلتا الإجابتين نلاحظ يا صديقي استحالة حصول الإنسان على غفران خطاياها هنا على الأرض. فالمفهوم السائد هو أن غفران الخطايا أمر غير معقول، وصعب جدا. لكن ماذا تجيبنا كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس؟ لا بأس أن نعود أولا إلى حادثة هامة جرت مع المخلص المسيح، لنكتشف منها الجواب الصحيح عن هذا السؤال الهام المتعلق بغفران الخطايا.

جاء مرة المخلص المسيح إلى بلدة كفرناحوم التي كانت تقع على بحر الجليل، أو بحيرة طبريا في شمال فلسطين. ودخل أحد البيوت وكان يعلم الجموع، ويشفي المرضى. واجتمع الكثيرون، الذين كان من بينهم الفريسيون اليهود ومعلمي الناموس، حتى لم يعد هناك مكان ولا حتى في مدخل البيت. وأتى رجال أربعة يحملون على فراش إنسانا مفلوجا، وأرادوا دخول البيت. وعندما لم يستطيعوا الدخول بسبب الجمع المزدحم، صعدوا إلى سطح البيت، ونقبوا السقف، ودلّوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعا عليه، من بين الأجر إلى الوسط حيث كان المسيح. فلما رأى المخلص المسيح إيمانهم، قال للمفلوج: ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك. وعندها ابتداء الفريسيون ومعلمي الناموس يفكرون في قلوبهم قائلين: من هذا الذي يتكلم بتجاديف. من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟ فعلم المسيح أفكارهم، وقال لهم: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ إيمانهم أن يقال للمفلوج، مغفورة لك خطاياك. أم أن يقال له قم واحمل فراشك وامشي. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا. حينئذ قال المسيح للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك. ففي الحال قام المفلوج وحمل السرير ومضى إلى بيته، وهو يمجّد الله. فلما رأى الجموع ذلك تعجبوا، ومجّدوا الله قائلين إننا قد رأينا اليوم عجائب. (راجع بشارة متى ٩: ٢-٨)

إنها بالحق حادثة مثيرة، وعجيبة هامة صنعها المخلص المسيح. لكن أهم ما فيها، هو أن المسيح غفر خطايا هذا الإنسان المفلوج. فهل يقدر المسيح أن يغفر الخطايا؟

لاحظنا أن المخلص المسيح في رده على تساؤلات الفريسيين ومعلمي الناموس، سألهم قائلا: أيما أيسر أن يُقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك. أم أن يقال له قم وامش؟ وهكذا أقرّ المسيح بصعوبة موضوع غفران الخطايا. أو بتعبير آخر أن موضوع غفران الخطايا بالنسبة لنا نحن البشر، هو أمر أصعب بكثير من إجراء عجيبة الشفاء، حتى لشخص مفلوج لا يستطيع الحركة. والسبب لأن غفران الخطايا متعلق بالله تعالى. لكن المخلص المسيح من ناحية أخرى، كشف بإمكانية مغفرة الخطايا لنا نحن البشر، هنا على الأرض. وأنه ليس علينا أن ننتظر إلى يوم الدين لكي ننال غفران الله لخطايانا، أي أن هذا ليس بالأمر المستحيل. أما الأمر الهام الآخر الذي كشفه المخلص المسيح، فهو أن له سلطانا كابن للإنسان أن يغفر الخطايا. فماذا تعني هذه الحقيقة؟ وكيف بإمكان المسيح أن يغفر الخطايا، وعلى أي أساس.

لا بد لنا أن نتحدث أولا عن تعبير "ابن الإنسان" الذي وصف فيه المسيح نفسه، فماذا يعني هذا التعبير بالضبط؟ من المعلوم أن المسيح هو كلمة الله الأزلي، المولود من روح الله، والذي تجسّد وصار إنسانا. وبهذا المفهوم نقول أن المسيح يحمل طبيعتين الإلهية والبشرية. فهو كلمة الله الأزلي، الذي حُبِل به من الروح القدس يحمل الطبيعة الإلهية. وبما أنه تجسّد وصار إنسانا فهو يحمل الطبيعة البشرية، ولهذا لقب بابن الإنسان. وكابن للإنسان فإن للمسيح سلطانا أيضا أن يغفر الخطايا. وهذا أمر هام جدا يعطينا كبشر فرصة ذهبية لكي نحصل على هذا الغفران، الذي بإمكان المخلص المسيح أن يمنحنا إياه.

صحيح أن الله وحده يغفر الخطايا، كما فكّر أولئك الفريسيين اليهود ومعلمي الناموس. لكن الله أعطى هذا السلطان أيضا إلى المسيح المخلص، الذي أرسله إلى عالمنا، لكي يفتح الطريق أمامنا لتُغفر خطايانا. لقد غفر المخلص المسيح خطايا هذا الإنسان المفلوج عندما قابله، ثم شفاه من مرضه. لكن على أي أساس يغفر لنا المسيح نحن اليوم خطايانا؟ حقا إنه سؤال هام وجدير بالبحث.

تخبرنا كلمة الله الحية كما جاءت في الإنجيل المقدس، أن رؤساء اليهود تأمروا على المخلص المسيح وقبضوا عليه، ثم أسلموه إلى الرومان ليصلب. وهكذا مات المسيح معلقا على الصليب. إن حادثة صلب المسيح هي حقيقة تاريخية مؤكدة، أثبتتها المؤرخون وشهد لها كل تلاميذ المسيح المعاصرون له. وكان لصلب المسيح هدفا إلهيا واضحا، ألا وهو تحقيق فداء الجنس البشري. فعلى الصليب أخذ المسيح عقاب خطايانا نحن البشر الخاطئة، أي أخذ الدينونة عوضا عنا. وهكذا صار بإمكاننا نحن البشر الخاطئة أن ننال الغفران عن خطايانا، إذا آمنّا بموت المسيح الكفاري من أجلنا.

ولهذا كتب الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل عن المخلص المسيح قائلا: " الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا." (أفسس ١: ٧) لقد فدى المسيح بموته على الصليب وسفكه لدمه جنسنا البشري. وما على شخصيا لكي أستفيد من عمل المسيح

الفدائي هذا، إلا أن أوّمن بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجلي. وعندئذ يمنحني الله الغفران الكامل عن خطاياي. أي أنال الغفران عن خطاياي الآن، وفي اللحظة التي أوّمن بها بعمل المسيح الكفاري، وليس عليّ أن أنتظر إلى يوم الدين لكي أعرف إن كان الله سيغفر خطاياي أم لا. نعم بكل هذه البساطة أنال الغفران عن خطاياي.

فهل هناك أعظم من هذه العطية التي يهبني إياها الله؟ وهل هناك خير مفرح وسار أعظم من هذا الخير، أن الله قد غفر خطاياي وجعلني من أولاده المبررين؟ فهل تصدق مستمعي العزيز هذا الخبر المفرح السار؟ وهل تعلم أن الله قد أرسل المخلص المسيح من السماء لهذا الهدف بالذات، أي لكي يمنحنا الغفران عن خطايانا، ويهبنا الخلاص الكامل.

ألا ترغب صديقي أن تحصل على غفران خطاياك الكامل؟ لم لا تؤمن الآن ومن كل قلبك بعمل المسيح الكفاري من أجلك على الصليب. وهكذا لا يمنحك الله الغفران فحسب، بل تتأكد من نوالك الخلود في دار النعيم.